دلالة الصورة البصرية في الشعر الجزائري الحديث
مختارات من الشعر المنشور في جريدة البصائر

أ. فضيلة بوجلخة
جامعة الوادي - الجزائر

ملخص :إن التشكيل البصري يأخذ مفهومه من لغة العين و من أفقها الممتد في الطبيعة ،ويستطيع الشاعر أن يلتقط الصورة الحاملة لأدق التفاصيل،فينسج منها نصا شعريا متميزا عن باقي النصوص الأخرى .إن دقة التصوير والوصف والتعبير ،تمنح الصورة الحياة الشاخصة والحركة المتجددة ،فتقوي الخيال وتجعل المتلقي يمعن التفكير والتحليل.

Abstract:

Visual composition takes eye language understood and extended its cumulative in nature, and can lyricist that captures the image of photorealism, which weaves poetic text distinct from the rest of the other texts.

That resolution, description and expression, tmmenh the picture life of renewable movement, strengthen the imagination and make the receiver further reflection and analysis.

يعتمد المبدع على حواس متعددة منها البصر والسمع والذوق،حيث يتمكن من التقاط مواطن الجمال في الطبيعة ويشكل بها صوره ممزوجة بخياله . فالحواس تشكل بعدا جوهريا في تشكيل الصورة،لأنها وسائط معرفية تقوم بنقل الواقع الخارجي إلى الذات الداخلية ،فتشكل في الذهن الصور الذهنية التي تتجسد في الفاظ منطوقة أو مكتوبة في النص الشعري[1] ،وتنقسم الصور الحسية إلى مجموعات من الصور حسب الأعضاء التي تنتمي إليها كل مجموعة .فـ (لن تبعد اجتهادات الصورة الفنية عن سلطان الحواس لأن النافذة التي يستقبل بها الذهن رياح الحياة والتجربة هي الحواس كما أن الذهن محتاج في كثير من اعتماداته إلى الحواس لترجمة تلك الاعتمادات فتكون الحواس بهذا المنحى.أهم وسائل الذهن في الاستقبال والبث).[2]

وتعتبر الصورة البصرية هي الأكثر شيوعا عند أغلب الشعراء باعتبار أن العين هي الأداة الكبرى للإحساس بالجمال، أو الإحاطة بمعانية (فعن طريق العين يكون الاحتكاك مباشرا بنوع التجربة، بل إن هذه أسبق الحواس إلى إدراك هذا الواقع)3.

الصورة البصرية :ويراد بها التشكيل الفني الذي يظهر الأبعاد والنجوم والمساحات والألوان والحركة ،وكل ما يدرك بحاسة البصر4.وبالنظر **للشعر** الجزائري نجد أن هناك ثلاثة عناصر تشارك في تكوين الصور البصرية ،وهي اللون ،والحركة ،والضوء.

1ـ الصورة اللونية : لقد اتصل الشعر بفن الرسم منذ البدء اتصالا وثيقا وعميقا،بطريقة تداخلت فيه تقنيات كل منها مع الآخر تدخلا واضحا يعمق طاقتها التعبيرية (لغة وصورة وإيقاعا فضائيا).5 واللون بطبيعته(شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة وبيانها،فهو كلامها ولغتها والمعبر عن نفسيتها)6، وتوظيف اللون في الشعر يحتاج إلى إدراك طبيعة تشكله في الطبيعة أولا ، وفي فن الرسم بنماذجه وأشكاله ثانيا،ليتمكن الشاعر من توظيف طاقاته في الشعر،فقد (ساعدت الألوان في صور كثير من الشعراء على توليد انسجام وتناسق بين أجزائها،حملتها جوا إيحائيا معينا استحوذ على حواس القراء عبر عصور طويلة،وفرض عليهم دونما وعي حالة شعورية معينة ،تعجز عن أدائها الألفاظ المجردة في كثير من الأحيان)7.

يستخدم الشاعر أبو القاسم سعد الله في قصيدته (أنشودة المزارع الحقول)اللون الأسود بوصفه لونا مركزيا وجوهريا، ضمن إطار الفضاء الجمالي للون، حيث يقول:

طُولَ النَّهَارْ
كَالأَلَةٍ الخَرْسَاءِ..... تَعْمَلُ مُطْلَقاً
بِدَرَاهِمٍ وَشَتَائِمْ
لَاْ غَايَةً تَدْنُو..... وَلَاْ أَمَلًا طَلِيْقْ
دُنْيَا مِنَ الحِرْمَانِ وَالدَّم وَالشَّهِيْقْ.....
فَالأَمْسُ لَوْحٌ أَسْوَدُ
وَاليَومَ مَوْجٌ يَصْخَبُ
وَغَدًا طَرِيقٌ مُبْهَمُ8

يرسم الشاعر سعد الله صورته اللونية ،حيث اكتسى الماضي اللون الأسود ،ليدل على الحزن والأسى الذي لقيه الشاعر من ظلم المستعمر وتحكمه،وكذا انعدام الأمل والعمل المضني دون جني الثمار ،وهي تتناسب صوريا مع الجزء الأول من الصورة اللونية (دنيا من الحرمان) (الدم والشهيق) (أعمل مطلقا) التي يشيع فيها السواد والحزن المقترن بالدوال السلبية المهيمنة على حركية الصورة .

ويستخدم الشاعر سعد الدين بن موسى الأحمدي في قصيدته (دمعة على أخت) اللون الأسود بكامل أبعاده السلبية الدالة على الحزن والحرمان والموت يقول:

(قَطَفَتْ يَدُ الأَقْدَارِ أَنْظَرَ زَهْرَةٍ عَصَفَ الزَّمَانُ بِغُصْنِهَا المِيَّادِ)

فَاسْوَدَّ فِيْ عَيْنِي القَضَاءُ وَهَالَنِيْ أَنِّي عَلَىْ سَطْحِ الجَدَالَةِ بَـادِ
أُخْتَاهُ مَاْذَا؟هَلْ مَلَلْتِ وُجُودَنَاْ أَم كُنْتَ وَاَلأُخْرَىْ عَلَىْ مِيْعَادِ؟
أَعْزِزْ عَلَيَّ إِذَاْ رَجَعْتُ وَلَم أَجِدْ غَيْرَ العَرَائِسِ فِيْ وِشَاحِ سَـوَادِ (9)

يرسم الشاعر صورته اللونية عبر مفارقة حكائية،حيث يصور الفضاء أسود نتيجة فقد أخته الصغيرة يرمز الدال(أسود)(وشاح أسود) على المنحنى السلبي الذي اتخذته حياته ،والنظرة الحزينة للحياة،وتزداد الصورة جدلا حين تنفتح على المجال الفضائي(العرائس)(والوشاح) على النحو الذي تلتبس فيه الرؤية السيميائية للصورة،وتكشف عن الموفق الشعري الحزين والمظلم في حساسية دلالية.

وفي قصيدة(احتراق)لأبي القاسم سعد الله،يستخدم اللون الأسود استخداما حزينا مظلما حيث يقول :

أَيَا شَعْبُ أَنْتَ وُجُودِيْ وِحُبِّيْ وَإِيْمَانِيْ الفَائِضُ المُسْـــتَرَاقُ
وَأَنْتَ وَدَاعِيْ الذِيْ لَنْ يَذُوْبَ إِذَاْ مَاْ الوُجُوْد عَرَاهُ المُحَــاقُ
وَلَفَّ الحَيَاةَ سَوَادُ الفَنَـــاءِ وَمَاتَ لَهَاْ فِيْ النُّفُوْسِ أَشْتِيَاقُ
أَحَالَكِ ظَلَاْمًا ـ زَمَانٌ بَغَـى جَحِيْمًا يَفُوْحُ بِلَحْـمٍ رُقَاْقُ(10)

يمثل اللون الأسود المستقبل المجهول عند الشاعر المليء بالعتمة والضبابية،على النحو الذي يتجسد فيه فضاء الفناء، والموت المنبثق من حساسية اللون،من خلال الكلمات(الفناء)(مات)(وداع) (ظلما)(جحيم).وهي تمضي في سبيل تشكيل رؤية مستقبلية حزينة لوضع الذات الشاعرة من خلال استخدمه(إذا)والتي تذل على الشك وعدم الثبات،ويتضح الموقف الشعري المتداخل في حساسية دلالية من خلال الكلمات(أنت وجودي وحبي)التي تنطوي على قدر من الغموض والخصب.

ويشغل الشاعر أحمد معاش الباتني الحس التشكيلي في رسم الصورة اللونية داخل أفق التجربة الشعورية، من خلال توظيف اللونين الأبيض والأسود ،حيث يقول في قصيدة(مع الطبيعة):.

وَتَكْتَئِبُ الجِبَالُ إِذَاْ تَـوَاْرَتْ غَمَائِمُهَاْ وَسَارَتْ مُعْرِضَاْتِ
فَتَنْتِفُ مِنْ لِحَىْ بَيْضَاءَ غَمًّاْ وَتَرْثِيْهَا بِأَدْمُعِهَا العُصَـاةِ
وَتَرْمِيْ ثَوْبَهَاْ الفِضِّيَّ حُزْنًـا لِيَخْلِفَهُ سَوَادُ الثَّاكِـلَاْتِ
وَيَسْرَحُ نَاظِرِيْ لِيَرَىْ بَعِيْـدًا سَبَاْئِكَ فِضَّةٍ مُتَسَلْسِلَاْتِ
تُتَابِعُ سَيْرَهَا فِي عَطْفِ نَهْرٍ كَقَاْطِرَةٍ تَسِيْرُ بِلَاْ أَنَـــاْةِ(11)

تبدأ الصورة بوضع فضاء الطبيعة كظهير تشكيلي للوحة الشعرية،حيث تعمل دوال الطبيعة(الجبال). (الغمائم).(النهر) باشتغال الحيز الشعري بدلالاتها ورؤاها،ويدخل الجو الحزين المظلم لدى الشاعر عند تواري الغيوم،وبداية الليل الذي يسبل على الشاعر جوا حزينا يذكره ببلاده وأهله، وذلك من خلال(ترمى ثوبها الفضي حزنا) فالجبال التي اكتست وتزينت بالثلج الأبيض، بعثت الأمل في الشاعر،لكن عند ولوج الليل عاد الحزن يخيم على نفسيته،وذلك من خلال قوله(يخلفه سواد الثاكلات)(وترثيها بأدمعها العصاة) ولعل دخول الليل ميدان اللوحة يسهل عملية دخول اللون الأسود ،وما يحمله من دلالات نفسية على الشاعر.

وقد يكون اللون الأسود ملاذا متنفسا للشاعر أحمد سحنون، ليبث للبحر همومه: يقول في قصيدة (البحر حسبي):

كَمْ وَقْفَةً لِيْ عَلَىْ شَطَّيْهِ أَنْشِدُهُ شِعْرًا وَأَشْكُوْهُ مِنْ دُنْيَايَ إِعْنَاْتَاْ
أُلْقِيْ إِلَيْهِ أَغَارِيْدِيْ فَتَسْكُبُهَـاْ هَوَاْدِرُ المَوْجِ أَنْغَامًا وَ أَصْـوَاْتَاْ
وَكَمْ تَيَمَّمْتُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ سَـتَرَتْ أَثْوَابُهُ السُّوْدُ أَحْيَاْءً وَأَمْـــوَاْتَاْ
وَأُفْضِيْ إِلَيْهِ بِهَمٍّ ذَادَ لَاْعِــجُهُ نومي فَأَمْلَتْ مِنْ عَيْنَيَّ إِفْلَاْتَاْ(12)

لقد ارتبط اللون الأسود كثيرا بالدلالات السلبية في الشعر الجزائري الحديث،إلا أننا نجده في استخدام أحمد سحنون يحمل دلالات إيجابية تبعث على الإحساس بالراحة، بعد إفراغ الهموم والمشاكل ،وتحمل عبارة (الليل قد سترت) تعبيرا تشكيليا عن اللون،على النحو الذي يستجيب لظمة(أثوابه السود) في رحلة أزلية،ليبرز تساوي البشر في نقطة العتمة ،وبهذا يكون السواد قد انفتح على كل احتمالاته التشكيلية في الصورة اللونية بين تكثيف الهموم والتنفيس عن النفس.

وينفتح الشاعر أحمد سحنون على فضاء العلاقة بين فن الرسم وفن الشعر،ليحقق من هذه المزاوجة التشكيلية رؤية جديدة لوظيفة اللون الشعرية ،ويبين جمال الطبيعة في الربيع ،حيث يقول في قصيدته (موكب الربيع):

وَعَلَىْ هَاْمَةِ الخَمَاْئِـلِ إِكْلِيـْـــ لٌ مِنَ الزَّهْرِ مُحْكَمُ التَّرْصِيْعِ
وَالسُّهُوْلُ اْكْتَسَتْ مِنَ العُشْبِ أَثْوَاْ بًا حَبَتْهَاْ بِهَاْ أَكُفُّ الرَّبِيْـعِ
وَالمُرُوْجُ الخَضْرَاءُ تَخْتَاْلُ عَجَبـاً وَالرَّوَاْبِيْ ضَوَاْحِكٌ بِالـزُّرُوْعِ
وَعَبِيْرُ الأَزْهَاْرِ يَعْبَــقُ فِيْ الرَّوْ ضِ فَتَشْفَىْ بِهِ جِرَاْحُ الوَجِيْعِ(13)

تتجلى الصورة اللونية في اللفظة الصورية الاستعارية،(والمروج الخضراء تختال عجبا)التي يتمظهر فيها اللون الأخضر بارزا،ليدل على الفرحة والاستئناس بالربيع،وذلك من خلال الدوال(إكليل ـ اكتست ــ ضواحك – تشفي) بحيث يتقلد اللون الأخضر للعشب وينثره في كل الطبيعة، فيختلط لون الزهر بالعبق الذي يشفي منظره وعطره الموجوع الكئيب.

أما الصورة اللونية عند الشاعر محمد العيد في قصيدته(نبتغي العيش في الجزائر حرا)استخدم اللون لأحمر استخداما دمويا سلبيا.يقول:

بْتَغِيْ العَيْشَ فِيْ الجَزَائِرِ حُرًّا مُطْلَقًا لَاْ يَحُفُّهُ إِرْهَـــاْبُ
أَرْشِدِيْنَاْ السَّبِيْلَ أَيَّتُهَاْ الحَمْـ رَاءُ إِنَّاْ قَوْمٌ إِلَيْكِ رِكَـــاْبُ
حَادَ عَنْكِ الدَّلِيْلُ أَيَّتُهَاْ الحَمْ رَاءُ مِنَّا وَحَيَّرْتْهُ الشِّعَـــاْبُ
هَلْ إِلَىْ وَصْلٍ بَيْنَنَاْ مِنْ سَبِيْلٍ غِبْتِ عَنَّا وَطَاْلَ مِنْكِ الغِيَاْبُ(14)

لقد استخدم محمد العيد اللون الأحمر عن وعي جمالي،فهو في موضع تقاطع بين الحب والحرب ،وقد أراده الشاعر دليل نصر وحرية للجزائر،فجعل الدماء والقتال هي المرشدة للحرية من خلال الدال (أرشدينا)التي تعمل بنسق تشكيلي ملتئم مع كلمة (أيتها الحمراء)من أجل إعلاء شأن القيمة التعبيرية اللونية للأحمر ،في رسم الصورة النضالية التي تحول الحمرة إلى قائد ،وهدف منشود في سبيل الوصول إلى الحرية التي يريدها الشاعر(نبتغي العيش في الجزائر حرا)،والدم يعبر عن حضوره لافت عن طريق طلبه بلفظة(أرشدينا) التي تنقلنا إلى فضاء نضالي ثوري، يحرص الإنسان فيه على الحياة الحرة من خلال الدفاع عن قيمة اللون في الأشياء.

2 ـ الصورة المتحركة والساكنة: لقد عمد الشاعر الجزائري إلى استخدام الصورة البصرية لتساعده على وصف إحساسه بما رأت عينه،وما أثار به المشهد المرئي من مشاعر بغية جذب المتلقي ودمجه في دائرة إحساسه،حيث نجد الشاعر الربيع بوشامة يصف الطبيعة الغناء في قصيدة(يا ساحل المجد هيا لإنشادي)فيقول:

دُنْيَاْ مِنَ الحُسْنِ مَدَّتْ مِنْ رَوَائِعِهَاْ يَدُ العِنَاْيَةِ فَازْدَانَـــتْ لِرُؤَّاْدِ
طُفْ بِالبَسَاْتِيْنِ وَانْظُرْ فِيْ مَحَاْسِنِهَاْ مِنْ سَاقِيَاْتٍ وَأَشْجَـاْرٍ وَأَوْرَاْدِ
وَاْذْهَبْ خِلَاْلَ حُقُوْلِ الكَرْمِ حَاْلِيَةً قُطُوْفُهَاْ كَالْثُّرَيَّاْ فَوْقَ أَرْفَـــاْدِ
زَيَّنَهَاْ مَسْرَحُ الزَّيْتُونِ مُرْتَـــدِيًا أَثْوَابَهُ الخُضْرَ فِيْ غَوْرٍ وَإِنْجَـــاْدِ
تَبْدُوْ عَنَاقِيْدُه كَالدُّرِّ مُبْتَسِـــمًا أَوْ كَالعُيُوْنِ تُبَاهِيْ الحُورَ فِيْ الوَادِيْ
وَانْظُرْ بِحَقِّكَ فِيْ أَعْطَافِهَاْ زَمَنَاْ وَاهْزِجْ لِأَطْلَسِ شِعْرِ المُخْلِصِ الفَاْدِيْ(15)

لقد أفاد الشاعر من تأثير الصورة البصرية،والطاقة الإيحائية التي تبثها لنقل الكثير من أفكاره للتعبير عن جمال الطبيعة الجزائرية التي تنسي الشاعر همومه وآلامه،حيث مزج الشاعر بين عواطفه وإحساسه وجمال الطبيعة ما أكسبه نظرة متفائلة للحياة من خلال قوله(دنيا من الحسن).

وقد وظف الشاعر الصورة البصرية في قوله (البساتين . قطوفها . حقول الكرم . أشجار . أوراد . الزيتون عناقيد)،وهي صورة معتمدة على جمالية التشبيه والاستعارة وأثرها المبهج في نفسية المتلقي

. أما في قصيدة (خراطة) لبوشامة ،فقد مزج عاطفته الحزينة بتصوير مشهد الزلزال وبشاعة آثاره.يقول :

تِلْكَ المَنَازِلُ أُوْحِشَتْ جَنَبَاتُهَاْ وَبَدَاْ بِهَا شَبَحُ الرَّدَىْ المُغْتَاْلِ
قَدْ خَرَّ مِنْهَاْ أَهْلُهَاْ وَاْسْتَبْدَلُوْا سُكْنَىْ الخِيَامِ وَعِيْشَةَ التِّرْحَاْلِ
فَالبَعْضُ يَبْكِيْ النَّازِحِيْنَ وَيَرْتَجِيْ فِيْ كُلِّ حِيْنٍ بَطْشَةَ الزِّلْزَاْلِ
وَالبَعْضُ مِنْهَاْ قُوِّضَتْ أَرْكَانُهَا وَتَخَرَّبَتْ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَطْلَاْلِهَا
وَهَوَت عَلَىْ سُكَّانِهَاْ فِيْ وَهْدَةٍ وَتَعَانَقُوْا تَحْتَ الثَّرَىْ المُنْهَاْلِ
مَاْبَيْنَ مَجْرُوْحٍ يَئِنُّ وَمَيِّـــتٍ وَمُفْجَعٍ قَدْ لَاذَ بِالإِعْوَالِ (16)

في الصورة السابقة عرض الشاعر مشهد الزلزال أي ضرب خراطة،وما أحدثه من دمار هلع لدى الناس ، في جو مهول ينبئ بغضب الطبيعة، واعتمد الشاعر على بنية لغوية تعتمد التصوير الواقعي وكذا الاستعارات في (المنازل أوحشت جنباتها)(بطشة الزلزال)(تعانقوا تحت الثرى)، وهذا من شأنه أن يساعد على توسيع الصورة وتنامي جمالياتها لدى المتلقي .

أما الشاعر عبد الكريم العقون، فقد اختار تصوير الطبيعة وتقديس جمالها من خلال تذكر الصبا والمرح .يقول في قصيدة (ذكريات وعهود):

أُحَيِّيْ عُهُوْدًا عَذْبَةً قَضَيْتُهَاْ طِفْلًا غَرِيْرْ
أَشْدُوْ كَأَطْيَارٍ نَشْوَىْ بِالأَصَائِلِ وَالبُكُوْرْ
وَأُسَاجِلُ الأَطْيَارَ وَالأَنْهَاْرَ وَالفَجْرَ المُنِيْرْ
وَأَرُوْحُ أَعْبَثُ بِالمِيَاهِ الجَارِيَاْتِ وَبِالزُّهُوْرْ
أَظَلُّ فِيْ الغَابَاتِ بَيْنَ هُدُوْئِهَاْ السَّاجِيْ المُثِيْرْ
أُصْغِيْ إِلَىْ تَرْتِيْلِ أَيَاْتِ الجَمَاْلِ مَعَ الطُّيُوْرْ
وَأَشُمُّ نُوَّارَ الخَمَائِلِ حِيْنَ يَعْبَقُ بِالعَبِيْرْ
وَأُتَابِعُ الأَفْرَاْخَ فِيْ أَشْجَاْرِهَا أَوْ فِيْ الوُكُوْرْ(17)

في الأبيات السابقة أطلق الشاعر العنان لذاكرته تنسج جمال الطبيعة في فرح وبهجة ، بعيدا عن ضوضاء المدينة وما فيها من شرور ، ولقد ركز الشاعر على التصوير البصري والسمعي معتمدا في نسيجه اللغوي على التشبيه والاستعارة مثل (أشدو كأطياف النشاوى)(أعبث بالحياة)(ترتيل آيات الجمال)، كما اعتمد الشاعر على الصورة الإيحائية الخالية من البيان في كثير من الأسطر منها (أساجل الأطيار)(أظل في الغابات بين هدوئها)(بين الجبال الشاهقات أعيش مغتبطا قرير)، واستطاع عن طريق التقاطه المرهف لعناصر الصورة أن يشحنها بإيحاءات الفرح والغبطة عند تفاعله مع عناصر الطبيعة (أساجل الأطيار)(أعبث بالمياه).

وقد صور الشاعر علي نساخ في قصيدة (منظر شقاء في ليلة ليلاء)منظر امرأة حزينة محطمة مع أطفالها في الشارع.يقول : شَاهَدْتُ جِسْمًا عَارِيًا إِلاَّ مِنَ الثَّوْبِ الخَرِيْقْ

كَالوِرْسِ أَصْفَرَ ذَابِلًا مِنْ شِدَّةِ البُؤْسِ المَحِيقْ

يَحْنُو عَلَىْ أَطْفَالِهِ وَالنَّحْرُ فِيْ دَمْعٍ غَرِيْقْ

وَلَمَحْتُ مِنْهُ بَسْمَةً تَفْتَرُّ عَنْ حَرٍّ شَهِيْقْ

وَجَمِيعُهُمْ يَتَضَوَّرُوْنْ

أُمٌّ يُجَاوِرُ سِنَّهَاْ العِشْرِيْن تَلْتَحِفُ الظَّلَامْ

مِنْ حَوْلِهَا الأَطْفَالُ دَمْعُهُمُ تَحَدَّرَ فِي انْسِجَامْ

مِنْ وَطْأَةِ الفَقْرِ الشَّدِيْدِ وَمِنْ بَلَاْيَاْهُ العِظَاْمْ

قَدْ غَاْبَ وَالِدُهُمْ وَخَلَّفَهُمْ يُعَاْنُوْنَ السِّقَاْمْ

إِذْ غَالَهُمْ رَيْبُ المَنُوْنْ (18)

تبدأ الصورة بتصوير بصري لمشاهد اللوحة الشعرية التي رسمها الشاعر،تبدأ بالنقطة المركزية وهي الأم،حيث يضع المتلقي في مشهد المتأمل للصورة، فيثير إحساسه بالحزن والشفقة ، ثم ينتقل الشاعر إلى رسم صورة الأبناء الذين يحيطون بأمهم في حزن وفقر وجوع ، وإحساس بعدم الأمان ، وهي كلها صور بصرية ارتكزت على الدال الفعلي (شاهدت)لنتابع بعدها تسلسل مشاهد الصورة ، ووظف الشاعر التشبيهات والاستعارات لتعميق الصورة ، وزيادة تأثيرها في المتلقي ما أكسبها جمالية فنية من خلال رسم التفاصيل الدقيقة للصورة مثل (كالورس أصفر ذابلا) وهي تحمل دلالة سلبية تنم عن الذبول والموت نتيجة الفقر والتشرد، و(النحر في دمع غريق)(تلتحف الظلام)التي تحمل دلالة التشاؤم والحزن ، وكأنه ينقل لنا صورة الإنسان المحطم ، وهذا ما أراده فعلا ، فهو يصف لنا حالة الفقر التي تعيشها المرأة مع أبنائها ، وأثر ذلك في نفسها .

وفي الأبيات التالية يصور الشاعر سعد الله الفلاح ،فيقول في قصيدة (أنشودة المزارع والحقول):

حَتَّى مَ أَفْتَرِشُ الحَصِيرْ

وَأُسَاكِنُ الكُوْخَ الحَقِيْرْ

وَأُسَاهِرُ الحِرْمَانَ وَالأَلَمَ المَرِيْرْ

وَتَلُوْكُ جَنْبَيَّ الخُشُوْنَةْ

وَيُحِيْطُنِيْ قَبْوُ العُفُوْنَةْ

فِيْ ظُلْمَةٍ بَلْهَاءَ تَطْفَحُ بِالخَشَاْشْ

لَاْ البَدْرُ يُؤْنِسُنِيْ إِذَاْ أَنْطَفَأَ الفَتِيلْ

لَاْ الشَّمْسُ تَرْحَمُنِيْ إِذَا انْعَدَمَ المُقِيْلْ
...وَأَظَلُّ مُلْتَصِقَ اليَدَيْنْ
بِالتُّرْبَة ِالمُنْتَاجِ وَالشَّجَرِ الخَصِيْبْ
أَجْنِيْ وَأَقْطِفُ جَاْهِدًا
ثَمَنَ النَّشَاطِ الدَّائِبِ ...
فَإِذَا تَكَوَّمَتِ المَحَاْصِلْ
وَتَكَدَّسَتْ حَوْلِيْ المَكَاْسِبْ ...
لَمْ أَجْنِ غَيْرَ دَرَاْهِمْ
حِيْنَاْ ...وَأَحْيَاْنًا شَتَاْئِمْ(19)

يصور الشاعر في الأبيات حالة الفلاح البائس المتمرد على الوضع الذي يعيشه، دونما إحساس بالحرية أو تمتع بالمال الذي يكسبه ، ويرتكز المشهد التصويري على بؤرة التوتر المزروعة في نفس الشاعر من خلال السؤال في بداية القصيدة (حتى م أفترش الحصير)، حيث تبرز نزعة التمرد على الوضع ، ثم يتوالى التصوير البري (أساكن الكوخ)(أساهر الحرمان)(تلوك جنبي الخشونة)(ظلمة بلهاء)(البدر يؤنسني)(أجني وأقطف)، ثم يعود الشاعر إلى نفس النقطة الأولى من خلال قوله (لم أجن غير دراهم) والتي تدل على أن المزارع يبحث عما هو أكثر من المال ، وهي الحرية ، فبالنسبة للمزارع المال ليس مصدر السعادة ، وإنما هي حرية التصرف في هذا المال .

ومن خلال التصوير يظهر أن المزارع يحمل صورتي الفقر والغنى ، فالصورة الأولى حين يقول (الكوخ)(العفونة)(الحصير)، أما الثانية فمن خلال قوله (تكدست حولي المكاسب)، وهي أسباب كافية بالنسبة للفلاح ليرغب في التغيير ، والبحث عن أسباب الحرية والفرحة .

3ـ الصورة الضوئية: هي الصورة التي تعتمد على الضوء في بنائها،وترتبط بدلالاته وهي بذلك تتصل بالصورة اللونية،وقد ارتبطت في الشعر الجزائري الحديث بالشمس و القمر،كما ارتبطت بالعلم والعلماء.يقول جزائري في قصيدة (ذكرى) :

وَالشَّمْسُ فِيْ مَوْكِبٍ تَخْتَـــاْلُ نَاشِرَةً سِرَّ الوُجُوْدِ عَلَىْ الدُّنْيَاْ فَتُحْيِيْهَاْ
هَلْ أَنْتَ مَاْ أَلِفَتْ عَيْنَاْيَ فِيْ صِغَرِيْ ؟ أَمْ طَاْفَ بِالعَيْنِ مَاْ غَشَّىْ مَرَاْئِيْهَاْ(20)

يسترجع الشاعر أيام الصبا ،حين يستذكر الطبيعة وجمالها في بلاده ،وجعل الشمس معادلا للحياة ، فهي التي تمنح سر الوجود،وقد كانت الشمس معبودة في القديم لأنها رمز الميلاد والحياة والخير.

ويرتبط الضوء بالممدوح في الأبيات التالية،ويتصل بجمعية العلماء ،حيث يقول عبد الكريم العقون في قصيدة (جل ذا موكبا) :

أَنْتَ رُغْمَ الطُّغَاةِ عَرْشَ شَمُوْسِ غَمَرْتَ رَبْعَنَاْ بِنُوْرٍ سَعِيْـــدِ
فَعَلَاْ الشَّعْبُ مِنْ سَنَاْكَ ضِيَاْءً مُشْرِقٌ بَاسِمٌ كَصُبْحٍ جَدِيْدِ
يَاْ وُفُودَ السَّلَاْمِ يَا أَيُّهَا الأَنْــ جُمُ فِيْ ظُلْمَةِ اللَّيَاْلِيْ السُّوْدِ
قَدْ وَثَبْتُمْ إِلَىْ النِّضَاْلِ سِــرَاْعَاْ فِيْ ثَبَاْتٍ وَجُرْأَةٍ كَالأُسُـــوْدِ(21)

إن الصورة التي رسمها الشاعر للجمعية تحمل قوة قادرة على مواجهة المستعمر،حيث أن الجمعية تبعث الأمل في ميلاد تتجدد معه الحياة،وتنجلي غمة الليل التي هي بلا شك عتمة وظلام المستعمر،فتكون الجمعية قد فتحت باب الحياة ، وتعتبر الدوال(الشمس،الضياء،الصبح،النجم)تعطي أبعادا دلالية توحي بالأمل والميلاد،وهذا ما يجعل بين عناصر الكون والممدوح نوعا من التوحد والامتزاج الروحي الواهب للحياة.

إن توظيف الشاعر لضوء الصباح و إشراقة نوره(هو اقتران صوفي قامت عليه تجارب المتصوفة على اختلافهم)(22) ،ويرى مرسيا إلياد (أن الحقيقة القصوى تدرك مع مكاشفة النور الخالص المحض والنور عندهم رمز الخلق ورمز لجوهر الكون) (23)،حيث يدل رمز الصباح والضياء على السمو و قدسية الحقيقة،وهذا ما تميزت به جمعية العلماء من خلال علمائها وأدبائها .

ومن الصور الضوئية،صورة رسمها الربيع بوشامة لصديقه المعذب محمود ساطور.حيث يقول في قصيدة(مرحى علوت إلى السما يا ساري)

يَعْلُوْ إِلَىْ حَرَمِ السَّمَاْءِ بِنَجْمِهِ فَيُرِيْهِ فِيْ الأَفَــاْقِ لِلإِبْـــصَاْرِ
وَيُقِيْمُهُ بَيْنَ الكَوَاْكِبِ سَاْطِعًا يَهْدِيْ سُرَىْ الأَجْيَاْلِ وَالإِعْصَاْرِ(24)

حملت الصورة الضوئية بعدا استشراقيا،تتخللها معاني الصمود والتحدي والقوة،فمن خلال تعذيب محمود ساطور من قبل المستعمر جعله مثالا يهتدي به بقية المناضلين من أجل تحرير الوطن.

كما صور الشاعر أحمد سحنون نشر الفرحة والخير بعد إتمام بناء مسجد شكيب أرسلان،وما سيكون له من فائدة وخير على الجزائر.يقول في قصيدة (ياجارة البحر):

غَاْزِلِيْ يَاْ جَاْرَةَ البَحْرِ العُبَاْبَاْ وَ ابْسِمِيْ فَالحُزْنُ عَنْ مَغْنَاْكِ غَاْبَاْ
وَاْهْتِفِيْ إِنَّ دُجَىْ اللَّيْلِ اْنْجَلَىْ وَشُعَاْعُ الفَجْرِ قَدْ وَشَّىْ الهِضَاْبَاْ
وَاسْلِمِيْ فَالأَمَلُ الحُلْوُ دَنَــاْ وَمُرَجَّىْ الشَّرِّ لِلإِسْلَاْمِ خَـــاْبَاْ
إِنَّ عَهْدًا قَدْ تَقَضَّىْ مُشْـرِقًا كَسَنَا الشَّمْسِ تَوَارَىْ ثُمَّ أَبَـاْ(25)

تحمل الأبيات صورة ضوئية ساطعة شملت كل ربوع الجزائر من خلال قوله(شعاع الفجر قد وشى الهضابا)،ثم ربط الشعاع بالبسمة والفرحة والأمل حين قال(واسلمي فالأمل الحلو دنا) ،وتبدو ملامح الفرحة والغبطة في نفس الشاعر من خلال الدال(غازلي ـ واهتفي)التي توحي بالانفراج والتغيير، وقد استعمل الشاعر التضاد في الأبيات ليدل على تأثير افتتاح المسجد من خلال قوله(

الليل- الفجر) (الأمل الحلو – الشر)(توارى – آبا) وهذا يدل على انتشار العلم والوعي بين أفراد الشعب ، وما فيه من ضغط على ظلامية المستعمر لينجلي ويبرز شعاع الفجر.

وفي صورة حزينة للشاعر محمد الأخضر السائحي،فقد أظلم الكون من حوله بعد أن كان ضياء ونورا. يقول في قصيدة (وحي الأسى):

غَيَّرَتْنِيْ الخُطُـــوْبُ وَالأَلَاْمُ فَعَلَاْ عَهْدِيْ القَدِيْمِ السَّلَاْمْ
لَمْ يَبْقَ مِنِّيْ وَلَاْ مِنْـــهُ شَيْئاً غَيْرَ حَادِثَاْتِ الزَّمَانِ والأَيَّامْ
فَكَأَنَّ الحَيَاْةَ فِيْهِ خَيَـــاْلٌ وَكَأَنَّ الحَيَاْةَ فِيْـــهِ مَنَاْمْ
لَاْحَ كَالْبَرْقِ خَاطِفًا وَتَـوَاْرَىْ حَجَبَتْـهُ زَوَاْبِعٌ وَظَلَاْمْ(26)

لقد ارتسمت صورة الحزن على نفسية الشاعر التي تعبت من ضغط الحياة، وكثرة القيود ،فجعل الحياة أمنية في منامه أو خياله ، لكنها ظهرت وانطفأت سريعا ،ليعم الظلام قلبه ونفسه ،ويعيش في حزن ، واعتمد الشاعر على الدال(غيرتني)ليدل على الانطواء والحزن الذي أصابه،ووظف التضاد في الأبيات فيقول(ظلام ـ برق خاطف)ليدل على الوضع الذي آل إليه، فالحياة والأمل بالنسبة للشاعر برق خاطف بث فيه الأمل لوقت قصير ثم انجلى،ويبقى متعلقا به رغم سوء الأحوال .

الخاتمة : تعتمد القصيدة الشعرية الحديثة على حاسة البصر في تشكيلها الجمالي،بحيث أخذت من فن الرسم عناصره كالطبيعة صامتة ومتحركة، واللون ،والظل والنور،وأضفى ذلك كله على القصيدة جمالا وتنوعا ،من خلال تحليل تقنيات التشكيل إبراز أثرها على جمالية الصورة .

ويعتبر الشعر الجزائري شعرا واقعيا معبرا عن الأحداث التي عاشها الشعب في فترة الاحتلال ،وما خلفه من دمار وتهجير وتشريد للأسر ،لذلك جاء الشعر مرآة صادقة يصور ويؤرخ فيها لأحداث عصره معتمدا على حاسة البصر في نقل أحاسيسه وعواطفه .

الهوامش:

1. ينظر مراد عبد الرحمان مبروك :من الصوت الى النص .نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري .عالم الكتاب القاهرة .مصر .1993. ص: 218.
2. الصائغ عبد الاله :الصورة الفنية معيارا نقديا .دار الشؤون الثقافية .بغداد ـ العراق .ط1: 1987 .ص :406.
3. وحيد صبحي كبابه:الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفصال والحس (دراسة).منشورات إتحاد الكتاب العرب :1999.ص: 92.
4. ينظر زيد بن محمد بن غاتم الجهني:الصورة الفنية في المفضليات أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية .الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . المملكة العربية السعودية .ط1. 1425.ج1.ص:203.
5. محمد صابر عبيد:التشكيل الجمالي للخطاب الأدبي الكردي.الهوية والمتخيل.دار الغيداء للنشر والتوزيع.عمان.ط1. 2015.ص: 232.
6. محمد يوسف همام : اللون . مطبعة الاعتماد .القاهرة. ط1. 1930 ص: 01.
7. نوري حمود القيسي :الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها .مجلة أقلام. العدد (11) .السنة5. 1969.ص:76.

8. جريدة البصائر .دار الغرب الإسلامي.ط 1. 2005.س8ج.ص:09.
9. المصدر نفسه.س:5ج.ص:239.
10. المصدر نفسه.س:7.ص:286.
11. المصدر نفسه.س:7.ص:209.
12. المصدر نفسه.س:2ج.ص:94.
13. المصدر نفسه.س:5ج.ص:321.
14. المصدر نفسه.س1ج.ص:91.
15. المصدر نفسه.س2ج.ص:223.
16. المصدر نفسه.س2ج.ص:239.
17. المصدر نفسه.س2ج.ص:58.
18. المصدر نفسه.س5ج.ص:313.
19. المصدر نفسه.س8ج.ص:09.
20. المصدر نفسه.س2ج.ص:50.
21. المصدر نفسه.س2ج.ص:83.
22. منجية التومي:التناص الاسطوري في شعر أبي القاسم الشابي .جدلية الحضور والغياب.دار الفكر للنشر.تونس.ط 1. 2014. ص:118.
23. Eliade,Mircea,signification de la lumière intèrieure,in Eranos Jahrbuch,Tome^{xxx}VI,1957,P189.
24. البصائر .س2ج.ص:167.
25. المصدر نفسه.س2ج.ص:143.
26. المصدر نفسه.س2ج.ص:42.